مكتبة مصر
تقدم
مجموعة محمد وصحبه

المال مال الله

(فى بنى إسرائيل)

إعداد : أمير سعيد السحار

رسوم : عبد الرحمن بكر



الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى بالفجالة

تغلبَ حبُّ المالِ على بني إسرائيل ، واستبدَّ بهم ، حتى ملَكَ عليهم عواطفَهم وأحاسيسَهم ، كنتَ تسمعُ هذه الكلمةَ في كلِّ مكانٍ وزمان ، وكأنما المالُ هو العقيدةُ الرّوحيةُ لهؤلاء .

بَيد أن هذه النزعةَ الغريبة ، نجا منها فريقٌ منهم ، فلم يُقيِّموا المالَ إلا حيثُ يجب أن يقوَّم ، يستخدمونه في مصالِحهم ، وشئونِهم ، كما أمرَ اللّه ، وفي الغرضِ الذي خُلِق المالُ من أجلِه ، لا أن يكونوا هم عبيداً له ، يجمعونه من أيِّ طريق ، ويعملون على تنميتِه بشتى السُّبلِ والوسائل ، مشروعةً وغيرَ مشروعة ، ثم لا يكونون بعد هذا كلّه سوى حراسٍ عليه بدونِ أجرٍ قليلٍ أو كثير .. !!

وإذا فشا مرضٌ من هذه الأمراض ، ضربَ اللّه للناسِ الأمثالَ لئلا يضِلَّ المهتدي ، وليرتدعَ الضّال ، ويرجعَ إلى الصِّراطِ السّوى ، والطريقِ المستقيم ، ثم تظَلُّ العبرةُ بعد ذلك قائمةً إلى الأبد ، نبراساً يضيء وعلماً يهدِي ، ونوراً يشعُّ في كلِّ زمانٍ ومكان .. !!

وبخاصةٍ في أمةٍ قاومت العدالةَ والهدى ، مقاومةً لم تعرفْ هَوادةً ولا رحمة ، وحاربت الأنبياءَ حرباً شعواء ، بلغَت أقصى ما عرَف الناسُ من محاربةِ هؤلاءِ الأفذاذِ الداعين إلى اللّه .

واقتضتْ حكمةُ اللّه أن يكونَ مَناطُ هذا الابتلاءِ والاختبارِ ثلاثةً في بني إسرائيل ، أما أولُهم فأبرص ، وأما ثانيهم فأقرع ، وأما ثالثُهم فأعمى.

هذا مَلَكٌ يبعثهُ اللّه في صورةِ رجل ، عليه مهابةٌ وإجلال ،

يذهبُ إلى الأبرصِ ويسألُه في استفسار : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك ؟!

أي شيء أحبُّ إليك ؟! رنَّ هذا السؤالُ في أذنِه للمرّةِ الثانية ،

ففتح عينَيْه بقوة ، خشيَة أن يكونَ نائماً يحلُمُ ، ولكنه رأى الشّخصَ أمامَه يسـألُه ، وينتظرُ الجواب ، فطرِب قلبُه ، فمضى يفكّر : أى شيء أحـب إليّ ؟ وأخـذ يسـألُ نفسَه ، والجوابُ منه قريب .

ثم صمتَ قليلا ، فرأى أنه مُعذَّبُ القلبِ والنفسِ والروح ، وأن آلامَ الدنيا لـو تجسَّمت ، لما كانت آلامَه ، بل لرجحَت آلامُه على آلامِ الناسِ أجمعين ..

وكيف لا يكونُ ذلك على هذا الوضع ، وهـو يعاني الألمَ أينما حل ، وأينما ارتحل ، يعانيه حينما ينظرُ إليه أىُّ إنسان ، عظيمٍ أو حقير ، كبيرٍ أو صغير .. هذا جسمُه ذو لونَيْن : لونُه الطّبعي ، ولونٌ آخرُ يخالفُه ، وما أفظعَ هذا المرضَ الأليم ! إذ يجذبُ إلى صاحبِه الأنظار . فإذا بالنفوسِ تشمئز ، وإذا بالنـاسِ يبتعدون ، وإذا بالألسنةِ تلوكُ السيرة ، وتنالُ المبتلَى بالسوء .. وما أقسى النظراتِ حينما تلتهمُ ما بدا من الجسمِ بدافعِ الفُضولِ فحسب ! ثـم إذا بهـذه النظراتِ تتبـدّلُ وتتحوّل ، فإذا هي مشفقةٌ راثيةٌ حينا . ساخرةٌ مستهزئةٌ حينا آخر ، منصرفةٌ عن هذا المنظرِ الأليم في غالبِ الأحيان .. !



إن كلّ سعادة ومتعةٍ فى هذه الحياة ، وكلّ راحةٍ وهناءةٍ فى هذا الوجود ، كان من السهلِ جداً أن يحظى بها ، وأن يتمتع كما يتمتعُ الناسُ ويعيشَ هانئا مُنعما كما يعيشُ غيرُه ممن هم أقلُّ منه كفاءة . وأدنى منزلةً وقدرا ، لولا هذا المرضُ القاتل ، والمنظرُ الأليم .

إذن ، فلماذا يفكرُ فى الأمر ، ولماذا يتوانى ويتراجع . ؟؟ يجبُ أن يصارحَ هذا الشخصَ بكلِّ شيء .. إنه يريد شيئاً واحدا لا غيره ، يكفيه جدا أن ينعَمَ بجلدٍ ذي لونٍ جميل ، ليس أجملَ من جلودِ الناس ، وإنما مثلهم لا يطلبُ مزيدا ، ولا يرمي إلى بعيد ..

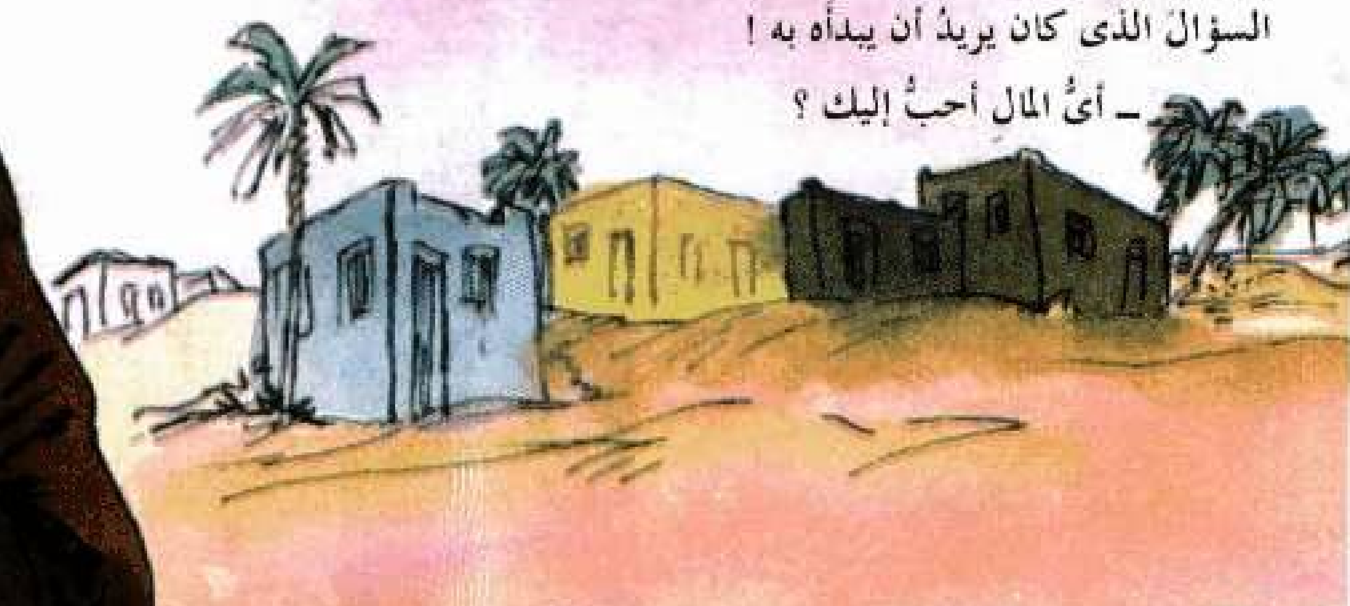
وتحرّكَ لسانه فى خوفٍ ووجلٍ قائلا .

ـ أحبُ شيء إليّ لونٌ حسن ، وجلدٌ حسن .

وكأنما أجيبتِ الدعوة . إذ مسحه الملَكُ ، فذهب عنه ذلك اللونُ القذِر، الذى باعد بينَه وبينَ الناس ، وأعطى لونا حسنا جميلاً ، وجلداً جميلاً ، تنشرحُ له الصدور ، وترتاحُ القلوب ، وتهدأُ الأنظارُ والعيون ..!!

وبُهت الأبرصُ لهذه النتيجة . وعلِمَ أن الأمرَ جدُّ خطير ، وأنه ليسَ بالهزل ، فتطلّع إلى شيء آخر .. تطلعَ إلى الثروةِ والغِنى والمال ، فما دامت الفرصةُ مواتية ، فلماذا ينكصُ ويتراجعُ ويتردّد ؟ يجب أن يطلبَ منه مورداً من مواردِ الرزق ، فهو فقيرٌ لا يملك شيئا .. وقبل أن ينْبِسَ ببنتِ شفةٍ سمع الشخصَ الذى أمامه يسأله السؤالَ الذى كان يريدُ أن يبدأه به !

ـ أىُّ المالِ أحبُّ إليك ؟



ويخبره كذلك في المالِ ؟! إنه لأمرٌ عجيب .. إذن ، فالإبلُ أفضلُ ما يُطلب ، ولم يتراجع ، إذ قال : أحب المال إليّ الإبل .

فأُعطي ناقةً عشراء ، وقال له الملك : يُبارِكُ اللّٰه فيها .. !!

واكتفى المَلكُ بهذا ، وتركه للقدرِ يفعلُ به ما يشاء .

وذهب إلى الثّاني وهو الأقرع . جاءه في صورةِ رجلٍ مهابِ الطلعة ، رفيعِ الشأنِ ساميَ المنزلة ، فوجده على حالةٍ لا تُرضي أحداً من الفقرِ والذلةِ والمرضِ القذِر . فقال له : أى شيء أحب إليك ؟!

وصمت ، حتى يأخذَ السؤالُ طريقَه إلى نفسِ الأقرعِ فيحركَها ، وإلى قلبه فيثورَ به .. وحقًا ، لقد أخذت الصّورُ تَتْرى في سرعةٍ وتتابع ، أمامَ ناظِرَيْ هذا الرجلِ الأقرعِ المسكين ..

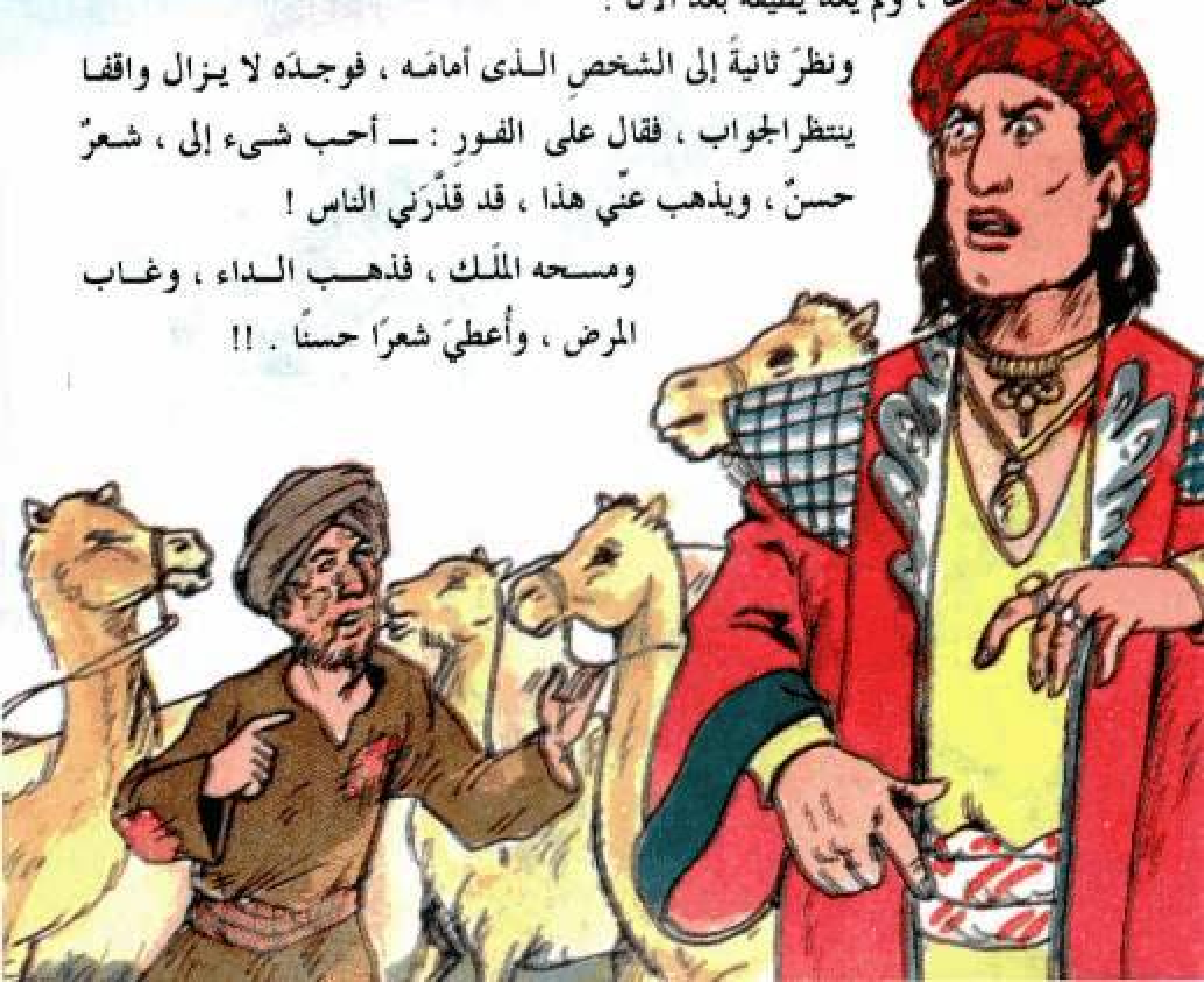


أين رأسُه من تلك الرءوسِ الجميلةِ التي لها جلدٌ نظيفٌ نقي ، وشعرٌ حسنٌ جميل ؟ أجل ، أين رأسه الذى تُفرِز غددُها الدهنَ القذر ؛ الذى يسيلُ من حينٍ إلى حينٍ على صُدغَيْه وقفاه ، فلا يدعُ شخصاً يبصرُه حتى ينفرَ منه ويبتعدَ عنه، وكأنما يرى سبعاً ضارياً يقبلُ عليه ، أو أسداً مفترساً يحاول افتراسَه والقضاءَ عليه ..

إنه يحاولُ أن يخفيَ رأسَه على الدّوام ، فيضعُ عليه قلنسُوةً صفيقة ، ويبالغُ فى هذا الإخفاء ، ولكن دونَ جَدوى .. فسرعانَ ما تُفرز الغددُ هذه المادةَ اللزجة الدهنية ، وسرعان ما يتراكم عليها التُّراب . فتتخذُ لوناً لا يُغري سوى الذباب ، فيجتمعُ عليها ، وعبثاً يحاول طردَه ، فإنه لا يرتفعُ عنها إلا ليحطَّ عليها مرةً أخرى ومرات . ولا يبتعدُ إلا ليقترِبَ سريعاً فيزيدَ هول منظرِ هذا الرأسِ الكريه ، الذى ضاق به ذرعًا ، ولم يعُدْ يَطيقُه بعدَ الآن .

ونظرَ ثانيةً إلى الشخصِ الذى أمامَه ، فوجدَه لا يزال واقفا ينتظرالجواب ، فقال على الفورِ : — أحب شيء إلى ، شعرٌ حسنٌ ، ويذهب عنّي هذا ، قد قذَّرَني الناس !

ومسحه الملَك ، فذهب الداء ، وغاب المرض ، وأعطيَ شعرًا حسنًا . !!



وأدركه شيءٌ من الذّهول ، حينما وضع يده على رأسِه فلم يجدْ ذلك الدهنَ القذِر ، وإنما وجد شعرًا يتمناه كلُّ إنسانٍ يريد أن يكونَ رأسُه سببَ نعمتِه ، وأصلَ كرامتِه . وكان يريد أن يفرّ ، لئلا يحدثَ له شيءٌ آخرُ لا يرضاه .. بيدَ أن الشخصَ الذى أمامَه عاجلَه بقولِه :

ـ فأىُّ المالِ أحبُّ إليك ؟

المال .. أيعرض عليه مالاً بعد هذا ؟ ، إنه لتكفيه هذه النعمةُ العظيمةُ من متعِ الحياة ، ولذائذِ الوجودِ ، إنه أدرك الآن قيمتَها . ومحالٌ أن يدركَ النعمةَ إلا مَن فقدها .

بيد أنه عاد إلى نفسِه مرةً ثانية ، فعلم أن المالَ لابد منه حقًا ، وأن هذا الشخصَ الذى يخاطبُه لا يريدُ به الشرَّ والضر ، وإنما يبغي به الخيرَ والصلاح . فلا مانعَ من أن يدليَ إليه بما يحبُ ويريد . ولا جرمَ أن أحبَّ شيءٍ إليه هو البقر ، فقال :

ـ أحب المال إلىَّ البقر .. !!

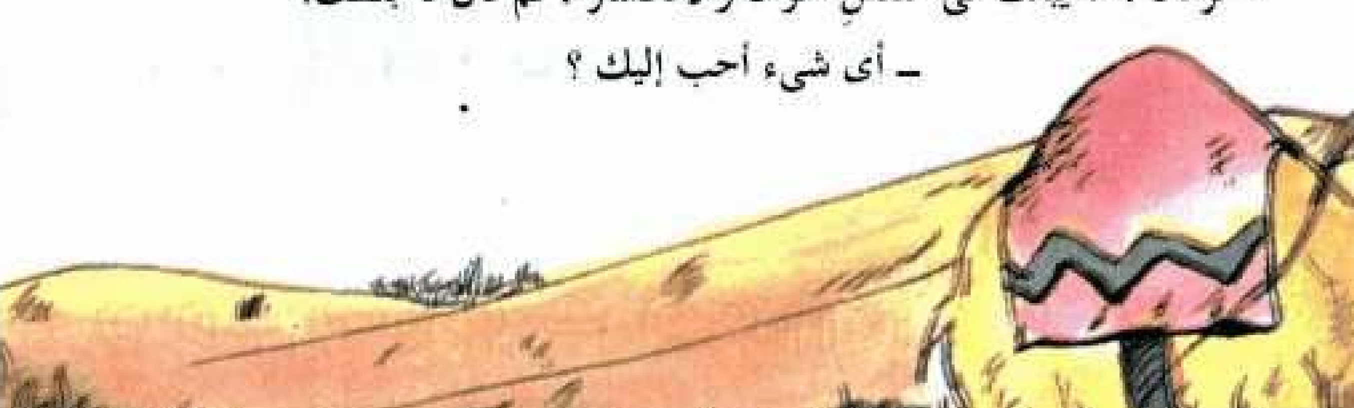
وما لبث أن وجد أمامه بقرةً حاملاً ، على خيرِ حالٍ ، وأفضلِ ما يتمنّى أن يكونَ . حتى سُرَّ بها قلبُه ، واطمأن خاطرُه ، وأقبل عليها فى نشاطٍ وفرح ..

وقال له الملَكُ فى وضوح :

ـ يُبارِكُ لك فيها .. !!

وذهب الملَكُ إلى الأعمى ، وهو بائسٌ مسكينٌ ، وجد من ذُلّ الإظلامِ ، ورهبةِ الحرمان ، ما يبعث فى النفسِ الهوانَ والانكسار ، ثم قال له بلطف:

ـ أى شيء أحب إليك ؟



حُلمٌ لذيذ ، وأملٌ ممتع ، فهل يتحقّق ما يسمعُه من ذلك الشخص ؟ إنه يرجو شيئاً واحداً . إنه أمنيةُ كلِّ مُظلَمِ العينَيْن ، لا يجدُ للحياةِ لذةً ولا للكونِ متعة ، ولا للوجودِ قيمة ، فى أيةِ ناحيةٍ من نواحيه .

هذا الهواءُ يضيقُ به صدرُه ، وهذه الشمسُ لا يرى ضوءها ، وذلك القمرُ لا يبصرُ نورَه ، وتلك النجومُ الزاهرةُ الرائعة ، لا يحسُّ بشعاعِها الساحرِ الفاتن .. هذه السماء ، إنه يسمعُ بصفاءِ لونِها ، وجمالِ أديمِها ، ولكنه لا يجدُ هذا صدًى فى نفسِه ، لأنه لا يراه ، ولا يشعرُ به .. !!

إن المناظرَ الجميلةَ لتشوقه ، ولكنه لا يجدُ طريقاً إليها ، لأن الحاجزَ بينهما حصين ، وما أقسى الظلماتِ حينما تتراكمُ بعضُها فوقَ بعض ..! وإن منظرَ الشمسِ وقتَ الشروقِ وقد أَلْقت بأشعتِها الذهبيةِ على جسدِ البسيطة ، فكسَتْها رداءً من ذهبٍ براق .. وحين تهِنُ قواها ، فتضعفُ عند الغروب ، فيتجددُ المنظرُ ولكن مع حمرةِ الشفق ، وجمالِ السماء .. إن هذا كلَّه يسمعُه ولا يراه ، فهل تجودُ المنى وتتحقّقُ الآمال ؟!

أى شيء أحب إليك ؟!

أصحيحٌ أن فى مكنةِ قائلِ هذا الكلامِ أن يجيبَه إلى ما يريدُ إذا أخبره بأحبِّ شيْءٍ إليه ؟ أم هو وَسوسةُ شيطان ، أو حديثُ ماردٍ لعين ، يريد أن يسخرَ به ، ويلهوَ بآماله ويعبثَ بأمانيه ، فيستدرجه ، حتى إذا أخبره بما يريد ، لوى عنه وجهَه ، وحسَر طرفَه ، وابتعدَ ترنُّ ضحكاتُه ، وتتتابعُ نكاتُه ؟! .

وماذا عليه لو رمَى عن قوسِه ، فربما يُصيب ؟

وتقدّم إلى الملكِ قائلاً فى صوتٍ رقيقٍ ضارع :

ـ أحبُّ شيء إليَّ أن يردَّ اللهُ إليَّ بصري ، فأبصرَ به الناس .

ومسحه الملَك ، فردَّ اللهُ إليه بصرَه .. !!

وكأنما خرج من ظلمةِ الأبد ، إلى نورِ الحياةِ ومُتعِ الوجود ، فوقـف حائراً دهشا ، وقد غَشيَ ناظريْه الضوء ، وملَكَ عواطفه النور ! ولم ينسَ في هذه اللحظـةِ أن يشكرَ اللّه ، الذى أعاد إليه نعمةَ البصر ، وكُتِـب لـه في صفحاتِ الدنيا صفحةٌ جديـدةٌ ، سيعرف كيف يؤدّي شكرَ اللّه عليها، فيقدسُه في نِعَمه ، وجلائِل آياتِه العظام !

ولم يدَعْه الملك يمضي مع الخيالِ الطّليق ، وإنما أخذ عليه الطريقَ حينما قال له :

ـ فأيُّ المالِ أحبُّ إليك ؟!

المال .. ! إن هذه النعمةَ لتُغنيه عن كلّ شيء فلا داعيَ لغيرِها لئلا ينوءَ بحملِ هـذه النعمِ فلا يستطيعُ أداء الشكرِ عليها .. ولكنـه علِمَ أن هـذا فضـلٌ من اللّـه ، ولا حَرج على فضلِه ، فلا مانعَ من أن يُنتشلَ من الفقرِوالذلِ والمسكنة ، كما انتشل من الظلمات ، وآلامِ العمى ..

فقال في صوتٍ هادئ :

ـ أحبُّ المال إلي الغنمُ !

فأعطاه شاةً ولوداً !

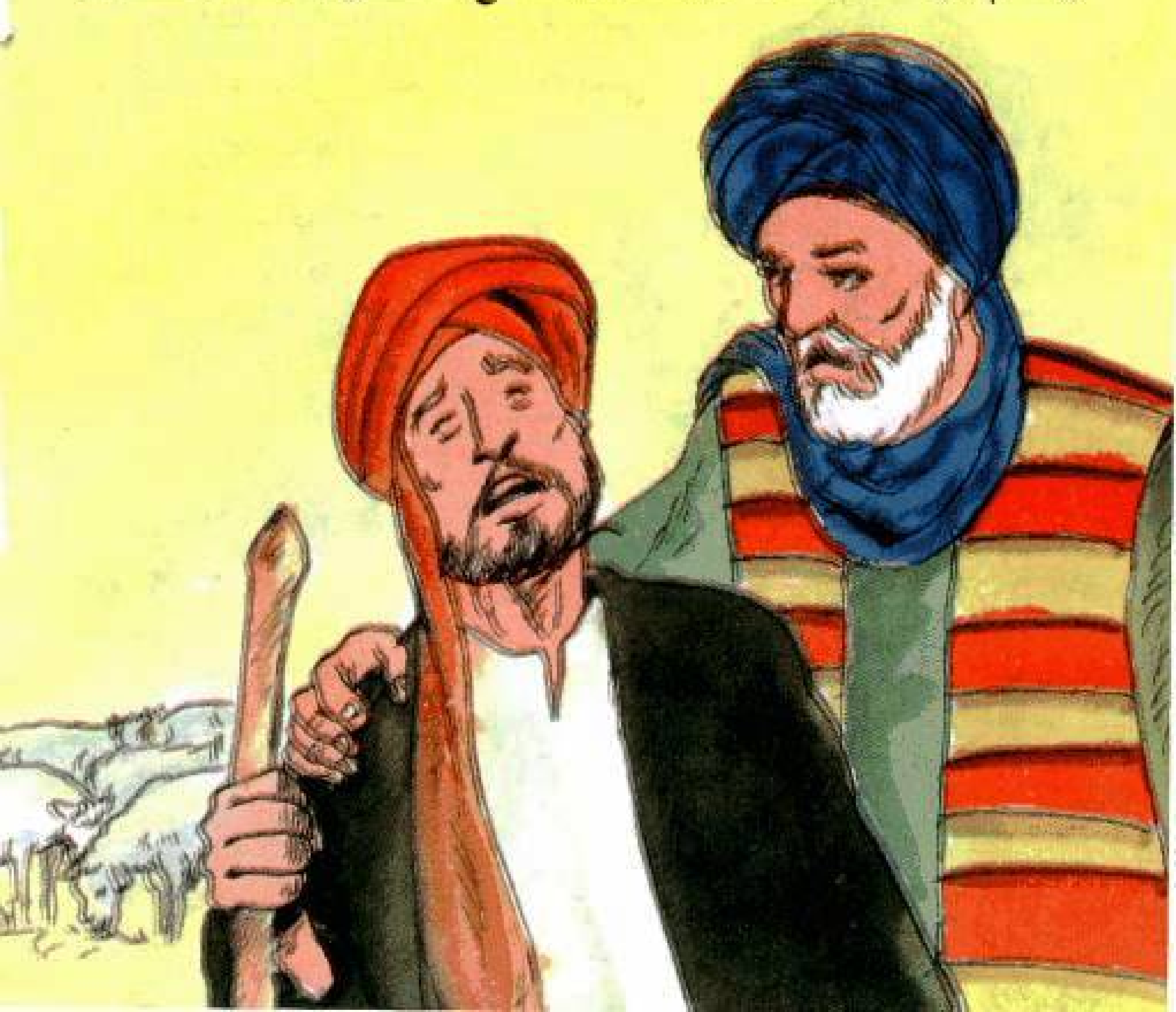


وغاب المَلَكُ مدةً طويلةً . فأنتجتِ الناقةُ والبقرة ، وكذلك الشاة ..

ثم كان للأولِ وادٍ من الإبلِ لا يكاد يُحصيهِ العدُّ ، أو يدركُه الحصْر ، وكأنما جانبَه المرضُ والدّاء ، فسلِمتْ أفرادُه سلامةً لم تدَعْ للموت سبيلاً إلى هذا المكان !

وأصبح للثانى وادٍ آخرُ من البقر ، كلّه الصحةُ والنضارة ، والقوةُ الدافقة ، والنشاطُ العجيب !! .. وأصبح للثالثِ وادٍ من الغنم ، كلُّه البركةُ الغامرةُ والحركةُ الدائبة ؛ والخيرُ الوفير !

وعجِبَ الناسُ هذه الوديان الثلاثة ، وعجِبَ الناسُ كذلكَ لأصحابِ هذه الوديان ، وتساءلوا : ماذا فُعِلَ بهم ؟ وماذا أريد بهم ؟ وما هذا النماءُ المنقطعُ النظير ؟ لقد كانت



تنمو هذه الأنعامُ كأنما هى الديدانُ لا حدّ لنموّها ، ولا غايةَ لكثرتها، ولا نهايةَ لعددِها !!

ما كنتَ تسمعُ فى وادي الأولِ سوى أطيطِ الإبل ، وصوتِ ما وُلِد فى الصباح أو الظهيرةِ أو عند الغروبِ أو فى المساء !!

وما كنت تسمع في وادى الثاني غيرَ خُوارِ الثيران وصوتِ ما ولد فى الصباح أو الظهيرة أو عند الغروب ، أو فى المساء !

وما كنت تسمع فى وادى الثالث سوى ثُغاءِ الشاء ، وصوت ما ولد فى الصباح أو الظهيرة أو عند الغروب ، أو فى المساء !!

وهكذا سعد هؤلاء الثلاثةُ سعادةً ما كانت تخطُر لأحدِ منهم على بال.. سعادة فى البدنِ والجوارح ، وسعادة فى المال والمتاع ، وأصبح لهم شأنٌ آخرُ غيرُ شأنِهم الأول ، وعرف لهم الناسُ مكانتَهم فأنزلوهم هذه المكانة ، ولم يعُدِ الأبرص ، كما كان ، ولم يعد الأقرع كما كان ، ولم يعد الأعمى كما كان ، وإنما أصبحوا أعياناً يشارُ إليهم بالبَنان . !

وهكذا تمّت النعمة ، وحقّت الكلمة ، فهل ستدومُ لكلّ منهم نعمتُه ؟ أم ستُؤذن نعمةُ أحدِهم بالزوال ؟!

* * *

وجاء الملَكُ إلى الأبرص ، فى صورةِ رجلِ أبرصَ فقيرِ مسكين ، وقال له فى إشفاق وحزن ورثاء :

ـ يا سيِّدي ، إننى رجل مسكين ، تقطّعت به السبُل ، جائعُ البطن ، خاوي الوفاض ، لا أملكُ من متاع الدنيا شيئا ، وأنا فى حاجةِ ماسةِ إلى شىءِ أتبلّغ به ، فأسألك باللّه أن تعطيَني شيئاً مما أعطاك .

ولكن الرجلَ صمت ولم يتكلم ، وكأنما شقّ على نفسه أن يدفعَ لهذا البائسِ

شيئاً من مالِه ، بيدَ أن الملَكَ عاجلَه :

ـ أسألك بالذى أعطاك اللّونَ الحسن ، والجلدَ الحسن ، أسألك بعيراً واحداً أتبلغ عليه فى سفرِي .

فقال له فى برودٍ وَصفاقة :

ـ إن الحقوقَ كثيرة . وليس عندى ما أُعطيكه .

فقال الملَك ، وقد يئس من اللّين . وجنَح إلى الشدّةِ والعنف :

ـ كأنّى أعرفُك من قبل .

وذهَل الأبرصُ (قديماً) فكيف يدّعي هذا السائلُ القذِر ، المسكينُ الذى شوّه جلدُه فاستقذرَه الناس ، كيف يدعي أنه يعرفُه ، وهو ابنُ السادةِ الأمجاد ، خُلِق هكذا حسنَ اللّون ، غنيًا ، لا يعرفُ الفاقةَ والفقر. إن هذا تطاولٌ على مقامِه السامي ، ومنزله الرفيع .

وعبَس عبوساً شديدا ، واكفهرّ وجهُه ، وحالَ لونُه ، ثم قال فى تبالهٍ وهروب :

ـ كيف تدّعي هذا أيها المسكين ، وأنا لم أرَكَ قبلَ الآن ؟!

فقال الملَكُ فى عزمٍ وسخرية :

ـ ألم تكنْ أبرصَ يقذّرُك الناس ؟ فقيراً فأعطاك اللّه وشفاك ؟

وهنا ثارَ وفار ، وقال فى حدّة :

ـ كلاّ ، لقد ورِثْتُ هذا المالَ كابراً عن كابر!

فقال الملَكُ فى هدوء وتحد :

ـ إن كنتَ كاذبا صيّرك اللّهُ إلى ما كنت !

وكان كاذبا !!

فعاد كما كان ، أبرصَ فقيراً لا يملكُ شيئا !

* * *

وذهب الملَكُ إلى الأقرع .. ذهب إليه فى صورتِه القديمةِ التى كان عليها ، أقرعَ فقيراً يقذره الناس ، فقال له فى مسكنةٍ وخضوع :

- يا سيّدى ، إننى رجلٌ مسكين ، تقطعت بِىَ الحبالُ فى سفري ، فلا بلاغَ اليومَ إلا باللَّهِ ثم بك ! أسألك بالذي أعطاكَ هذا الشعرَ الحسن ، والمالَ الوفيرَ ، بقرةً أتبلغُ عليها !

فقال في جحودٍ ونكران : إن الحقوقَ كثيرةٌ ، وليس عندي لك شيء !

فقال الملَكُ فى تحدٍّ : كأني أعرفُك ! ألم تكنْ أقرعَ يشمئزُّ منك مَن يراك ، فقيراً تقتحمُك العيونُ ، ثم عافاك الله ، ووهب لك هذا الشعرَ الجميل ، وأذهبَ عنك القَذى ، وأعطاكَ المالَ الوفير ، وباركَ لك فيه ؟!

وثارَ الشيطان ، ونفخَ فى أوداجِ الرجل ، وصوّر له الأمرَ على غيرِ وضعِه ، فغضِب وزمجرَ وقال :

كلاّ ، لم أكنْ كما تقول ، ولا صلةَ لى بك ! ولم أركَ قبل الآن . إنك محتالٌ



أفّاك .. ولقد ورِثتُ هذا المالَ كابرًا عن كابر ، ولم أعرفِ الفقرَ قبلَ ذلك بحالٍ من الأحوال ، ولم أتدنّسْ كذلك بمعرفةِ الفقراء !

فقال الملكُ في هدوء :

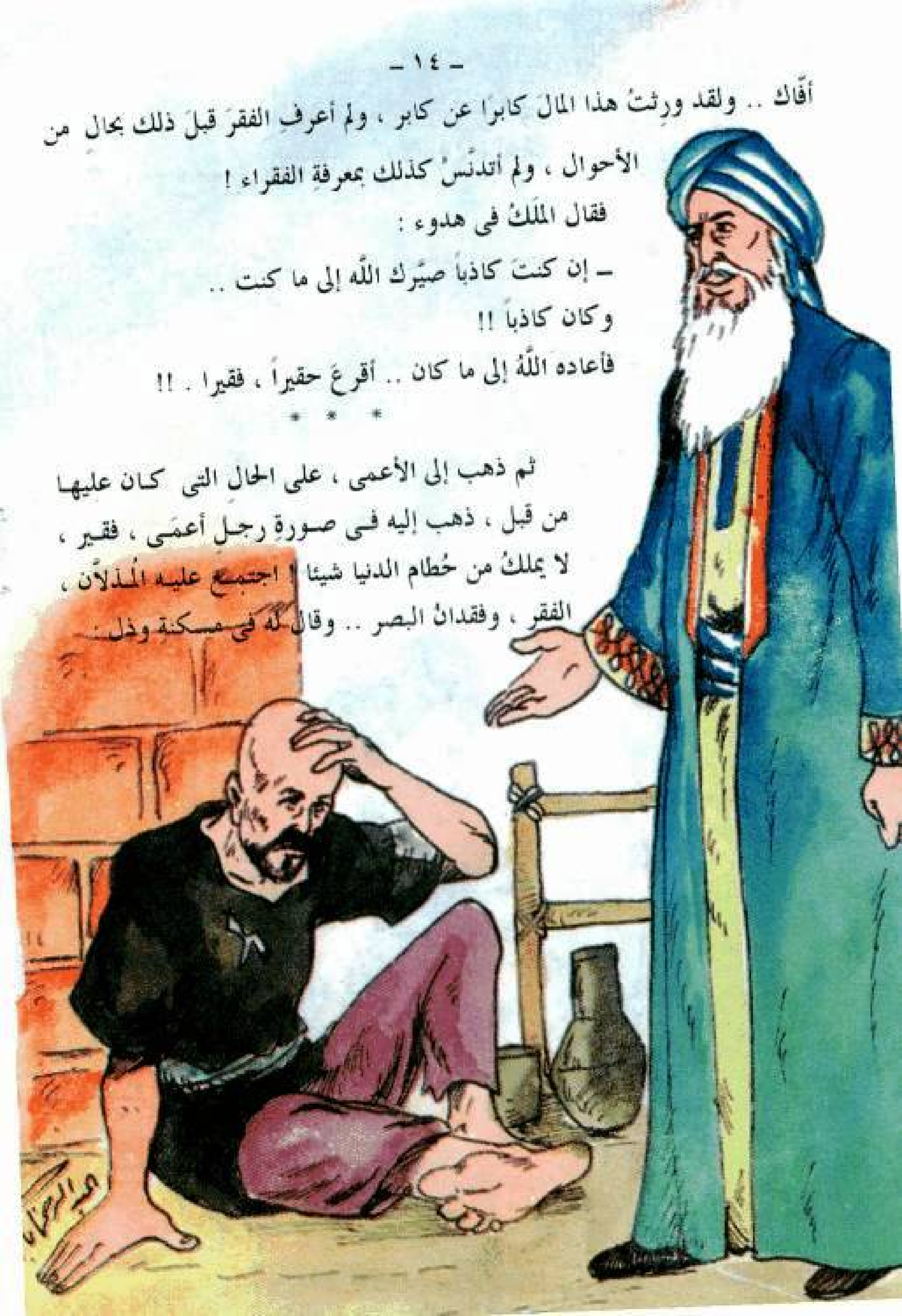
– إن كنتَ كاذبًا صيّرك اللهُ إلى ما كنت ..

وكان كاذبًا !!

فأعاده اللّهُ إلى ما كان .. أقرعَ حقيرًا ، فقيرًا . !!

* * *

ثم ذهب إلى الأعمى ، على الحالِ التي كان عليها من قبل ، ذهبَ إليه في صورةِ رجلٍ أعمَى ، فقير ، لا يملكُ من حُطام الدنيا شيئا !! اجتمع عليه المذلاّن ، الفقر ، وفقدانُ البصر .. وقال له في مسكنةٍ وذل :



ـ يا سيّدى ، أنا رجلٌ مسكينٌ ، وابنُ سبيل ، قد فقدْتُ العائلَ والنصير ، وتقطعت بيَ الحبالُ في سفرى ، فلا بلاغَ ليَ اليومَ إلا باللّهِ ثم بك . !

وارتسمَتْ على وجهِ الرجل علائمُ الشفقةِ والحزن ، وآياتُ العطفِ والرثاء ، وكاد ينطقُ لولا أن الملكَ أردف فى استعطاف :

ـ أسألك بالذى ردّ عليك بصرَك شاةً ، أتبلّغ بها فى سفرى !!

وعجِب الرجل ! كيف عرف هذا أنه كان أعمى فرد اللّه إليه بصرَه ؟ حقًّا إنه كان كذلك ، وإنه لا ينكرُه ، بل يذكرُ نعمةَ ربّه عليه على الدوام .. كان سجينًا فى ظلماتٍ مطبقةٍ لا يَرى شيئا ، ولا يتمتعُ بشيء ، ولا يميزّ بينَ لونٍ ولون ، فأصبح يرى الناسَ والألوان ، ويرى طريقَه إذا سار .. وكان فقيراً مسكينا ، لا معينَ له إلا اللّهُ لا يجدُ الكَفافَ إلا بعدَ أن يبذلَ من ماءِ وجهِه ما يجعلُه فى بعضِ الأحايين يفضّلُ الموتَ على الحياة ، أما الآن ، فلقد أصبح فى نعمةٍ سابغة ، وقدرةٍ على التصدقِ والإنفاق ..

لـمَنِ المالُ كلُّه ؟ لمن النعمةُ التى يرفُل فيها ؟ لمن هذا الفضلُ الوفيرُ الذى عجزَ عن الوفاء ببعضِ ما يجبُ عليه نحو مُسدي هذا الفضلِ ومجزلِ ذلك العطاء ؟ لمن هذا كلُّه ؟ .. لله .. !!

وانطلقَ صوتهُ فى حزمٍ وعزم :

ـ حقًّا ، كنتُ أعمى ، فرد اللّه بصري ، وفقيراً فأغناني اللّه ، فخذْ ما شئتَ ، فواللّهِ لا أجهدك اليومَ بشيءٍ أخذتَه لله ..

وصمتَ الرجل ، وقد شعرَ بشيءٍ من الراحةِ لما قال ، وأنه فعلَ بعضَ ما يجبُ عليه ، وخشيَ أن يكونَ قصّرَ في شيء .

ولكن السائلَ لم يعيّن شيئاً من الأغنام ، ولم ينتهزْ هذا الكرمَ البالغَ فيختارُ ما يريد ، ولكنه عفّ عن هذا كلّه وقال في هدوء واطمئنان .

ـ أمسِك عليك مالَك ...

ودهِش الرجل ، وخُيّل إليه أنه لابدّ وقد حدثَ شيء كدّر خاطرَ السائل ، أو جعله يحسُّ بشيءٍ من جَرحِ الكرامة ، وحاول أن يسألهُ عنِ السببِ لولا أن السائلَ أردف :

ـ فإنما ابتُليتُم ، فقد رضيَ اللّه عنك ، وسخط على صاحبَيْك .. !!

* * *

وشاعت هذه الحادثةُ في بني إسرائيل ، وأصاخت لها الآذان ، وتفتّحت لها القلوب ، ووضع كلُّ إسرائيلي يدَه على قلبِه خشيةً ووجلا ، فمن يدري، هل يبتليه اللّهُ بلونٍ آخرَ من أنواعِ الابتلاء ؟ وإذا كان فماذا تكونُ نتيجةُ هذا الاختبار ؟ أجحودٌ ونكران ؟ وبخلٌ وإمساك ، أم فضلٌ وشكران ؟!

واتّجهت القلوبُ حيناً إلى اللّه ، واتّصل ما بينَ الأرضِ والسماء ، ثم عادت أخيراً للمالِ سطوتُه وقوتُه على هذه القلوبِ التي لا تعترفُ إلا بالمال . !

